سلسلة لغز الحضارة المصرية القديمة

تساؤلات حول الرؤية إسلامية للحضارة المصرية

بقلم : محمد يونس هاشم

جرافيك : يوسف محمد حسين

دار زهور المعرفة و البركة

هاشم ، محمد يونس

سلسلة لغزالحضارة المصرية القديمة

تأليـــــــف : محمد يونس هاشـم

جرافيـــــك : يوسف محمد حسين

القاهـــــرة : دار زهور المعرفة والبركة

١٨ ص ، ٢٤ × ٢٤ سم

تدمـــــك : ٩٧٨ ٩٧٧ ٥١٧٢ ٩٦٩

١ قصص الأطفال (تاريخية)

٢- العنـــوان : ٩٠٠

رقـــم الإيداع : ٢٠١٨ /١٤٨٩٩

الترقيـــم الدولي: ٩٧٨ - ٩٧٧ - ٥١٧٢ - ٩٦ - ٩

جميع حقوق النشر محفوظة
لدار زهور المعرفة و البركة

الثُّلاثَاءُ ١٨ يُوليُو ٢٠٠٠ وَفِي صَالُونِ د. سَيدِ كَرِيمِ ، الذِّي رَحَّبَ بِالْحُضُورِ وَشَكَرَهُم عَلَىٰ سُؤَالِهُم عَنْهُ ثُمَّ قَالَ : لَنْ أُطِيلَ اَلْحَدِيثَ حَتىٰ يَتَمَكَنَ اَلأُسْتَاذُ يُونِسُ مِنْ مُوَاصِلَةِ حَدِيثَهُ وَإِجَابَةَ أَسْئِلَتَكُم .

- خَلُصْنَا فِي اَلْمُحَاضَرِةِ اَلسَّابِقَةِ إِلَىٰ السِّرِّ وَرَاءِ الْحَضَارَةِ الْمِصْرِيةِ اَلْقَدِيمَةِ التِّي بَدَأَتْ كَامِلَةً مُتَطَوِّرَةً وَبِدُونِ مِثَالٍ سَابِقٍ أَنَّ الْمَصْرِيين اَلْقُدَمَاءَ بَنُوهَا بِتَعَالِيمِ اللهِ تَعَالَىٰ وَشَرْعِيتِهِ فَقَدْ عَلَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ آدَمَ أَسْمَاءَ عَنَاصِرِ اَلأَرْضِ وَمَا بِهَا مَنْ مَخْلُوقَاتٍ كَمَا علّمه كُنْهَ اَلأَشْيَاءِ وَخَصَائِصِهَا ، وَكَيفَ يَسْتَخْدِمُهَا وَيَنْتَفعُ بِهَا .

كَمَا عَلَّمَ تَعَالَىٰ إِدْرِيسَ - نَبِيَ الْمَصْرِيين وَأَوَّلَ اَلأَنْبِياءِ وَالرُّسلِ بَعْدَ آدَمَ وَشِيثَ - فَوقَ كُل ذَلِكَ الْكِتَابَةَ بِالْقَلِمِ ، وَحِيَاكَةَ الثِّيَابِ ، وَعِلْمَ النُّجُومِ ، وَالْحِسَابَ وَغَيرَهَا مِمَّا كَانَ سَبَباً فِي النَّشْأَةِ اَلْحَضَارَةِ اَلْمَصْرِيَّةِ كَامِلَةً مُتَطَوِّرَةً .

يَقُولُ اَلإِمَامُ الْقُرْطُبِيّ : " إِدْرَيسُ عَلِيهِ السَّلامُ أَولُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ وَأَولَ مَنْ خَاطَ الثِّيَابَ وَلَبِسَ اَلْمَخِيطَ ، وَأَولَ مَنْ نَظَرَ فِي عِلْمِ النُّجُومِ وَاَلْحِسَابِ وَسَيرِهَا. وَسُمِّي إِدْرِيسُ لِكَثْرَةِ دَرْسِهِ لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ. وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلِيهِ ثَلاثِين صَحِيفَةً " . أَكْتَفِي بِهَذَا اَلْقَدْرِ وَيُسْعِدَنِي تَلَقِي أَسْألتَكُم .

رَفَعَ أَحَدُ الذَّينَ يَجْلُسُونَ فِي الصَّفِّ الأَولِ يَدهِ يَطْلُبُ الْكَلِمَةَ اِبْتَسَمَ الأُسْتَاذُ يُونسُ وَقَالَ : تَفَضَلَ يَا دُكْتُورَ حَسَن .

قَالَ د. حَسَنُ : أَنَا كَمَا تَعْلَمُ أُسْتَاذٌ بِكُلِيةِ الآثَارِ وَمِنْ دِرَاسَتِي وَتَدْرِيسِي لِلآثَارِ الْمَصْرِيَّةِ أَعْلَمُ أَنَّ عُلَمَاءَ الْمَصْرِيَّاتِ وَالْمُؤَرِخِين يَجْمَعُون عَلَىٰ أَنَّ أَهمَّ مَا تَمَيَّزَتْ بِهِ الدِّيَانَةُ الْمَصْرِيَّةُ الْقَدِيمَةُ هُو تَعَدُّدُ الآلِهَةِ ، وَأَنَّهُم هُم الذِّين أَنْشَئُوا حَضَارَتِهُم بِأَنْفُسِهُم وَلَمْ يُنْشِئَهَا لَهُمْ أَحَدٌ غَيرُ مَصْرِيٍّ .

- حَضْرِتَك تَعْلَمُ أَنَّ عُلَمَاءَ الْمَصْرِيَاتِ الذِّين يُقُرُّون بِتَعَدُّدِ الآلِهَةِ الْمَعْبُودَةِ لَدَىٰ الْمَصْرِيين الْقُدَمَاءِ يُقُرُّونَ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ بِمَعْرِفَةِ الْمَصْرِيين الْقُدَمَاءِ التَّوحِيدِ الْخَالِصِ مَوجُود دَائِماً مَع تَعَدُّدِ الآلِهَةِ الْوَاضِحِ فِي الْعِبَادَاتِ الْمَادِيَّةِ .

وَالْمُشْكِلَةُ التِّي أَوقَعَتْ عُلَمَاءَ الْمَصْرِيَّاتِ فِي هَذَا التَّنَاقُضِ هُو خَطَؤهُم فِي تَرْجَمَةِ تُرَاثِ الْمَصْرِيين الْقُدَمَاءِ ، فَقَدْ أَخْطَأَ الْمُؤَرِّخُون فِي تَرْجَمَةِ كَلِمَةِ " نَيثَر " التَّي تَرْجَمَتْ دَائِماً بِمَعْنَى إِلَهِ رَغْم أَنَّهَا قَدْ تَعْنِي : إِلَه ، أَو مَلَك ، أَو نَبِيّ ، أَو كَائِن عُلْوِي ، فَإِذَا أُطْلِقَتْ مَثَلاً عَلَىٰ " رَع " فَإِنَّهَا تَعْنِي اِسْماً مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ مَالِك الْمُلْك أَو إِلَه الشَّمْسِ ، وَإِذَا أُطْلِقَتْ عَلَىٰ " آمُون " فَتَعْنِي اِسْماً آخَر هُو الذِّي لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ. وَإِذَا أُطْلِقَتْ عَلَىٰ " بِتَاح " فَتَعْنِي اِسْماً ثَالِثاً هُو خَالِق الإِنْسَانِ ، أَمَّا إِذَا أُطْلِقَت عَلَىٰ " تحُوت " فَإِنَّهَا تَعْنِي الرَّسُولَ الْمُوكَّل بِحَمِلِ رِسَالَةِ السَّمَاءِ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ .. وَهَكَذَا .

وَكَلِمَةُ " الرَّبُّ" فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَةِ تُطْلَقُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالمَلِك ، وَالسَّيدِ ، وَالمُربِّي ، وَالْمُصْلحِ ... وَالسِّياقِ هُو الذِّي يُحَدِّدُ الْمُرَادَ بِكَلِمَةِ رَبِّ .

وَلَقَدْ أَطْلَقَ سَيدُنا يُوسفُ لَفْظَ " رَبّ " عَلَىٰ سَيدِهِ فَهَلْ كَانَ سَيدُنا يُوسفُ النَّبِي بِنُ النَّبِي بِنُ النَّبِي بِنُ النَّبِي يَعْبُدُ سَيدَهُ مِنْ دُونِ اللهِ أَو مَعَ اللهِ ، حَاشَاه .

{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [يوسف:٢٣] .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ اَلآيَةِ وَكَانُوا يُطْلِقُون "اَلرَّبُّ" عَلَىٰ السَّيدِ وَالْكَبِيرِ، أَي: إِنَّ بَعْلَكِ رَبِي أَحْسَنَ مَثْوَاي . " .

كَذَلِكَ كَلِمَةُ " دُوا " التِّي تُرْجِمَتْ عَادَةً بِمَعْنَىٰ الْعِبَادَةِ رَغْم أَنَّهَا قَدْ تَعْنِي : اَلْعِشْقَ ، أَو الْحَمْدَ ، أَو الدُّعَاءَ ،

أَو التَّعْظِيمَ ، أَو الْعِبَادَةِ . وَمَعْنَاهَا يُحَدِدُهُ السِّيَاقُ فَإِذَا أُضِيفَتْ لِاسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ فَهِي تَعْنِي الْعِبَادَةَ ، أَمَّا إِذَا أُضِيفَتْ لِتحُوتَ ، أَو إِيمُحُوتِبَ ، أَو مِينَا، أَو إِخْنَاتُون فَتَعْنِي التَّعْظِيمَ ، فَإِذَا أُضِيفَتْ إِلَىٰ حَيوَانٍ أَو طَائِرٍ فَتَعْنِي الْحُبَّ أَو اَلاِمْتِنَانَ ، وَلا تَعْنِي الْعِبَادَةَ .

وَرُبَمَا فِي فَتَرَاتِ ضَعْفِ الْعَقِيدَةِ تُعْبَد هَذَهِ الرُّمُوزُ عَلَىٰ أَنَّهَا هِي اَلإِلَهُ نَفْسُهُ ، وَلَكِن لَيسَ هَذَا هُو حَالُ عَقِيدَةِ التَّوحِيدِ عِنْدَ الْمَصْرِيين دَائِماً .

إِنَّ دَعْوَةَ التَّوحِيدِ قَدْ بَدَأَتْ فِي مَصْرَ وَاِعْتَنَقَهَا الْمَصْرِيُون مُنْذُ عَهْدِ إِدْرِيسَ عَلِيهِ السَّلامُ. وَلَقَدْ ظَلَّتْ عَقِيدَةً رَاسِخَةً نَجِدُ أَصْدَاءَهَا تَتَرَدَّدُ بِقُوةٍ عَلَىٰ مَرِّ الْعُصُورِ وَالْعُقُودِ.

وَسِيَادَتُك تَعْلَمُ أَنَّ كَثِيراً مِنْ الْوثَائِقِ الْمَصْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ كَكِتَابِ الْمَوَتَىٰ ، وَنَشِيدِ الشَّمْسِ مَلِيئَةً بِآيَاتِ التَّوحِيدِ للهِ تَعَالَىٰ.

يَقُولُ رَع عَنْ نَفْسِهِ : " إِنِّي أَنَا الذَّي خَلَقْتُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَأَرْسَيتَ الْجَبَالَ . أَنَا الذِّي خَلَقْتَ السَّاعّاتِ وّمِنْ ثَمَّ جَاءَتْ الأَيَامُ إِلَىٰ الْوجُودِ " .

وَيَقُولُ " رَع " عَنْ نَفْسِهِ أَيضاً إِنَّهُ : " الإِلَهُ الْمُقدَّسُ الذِّي جَاءَ إِلَىٰ الْوُجُودِ بِنَفْسِهِ .. الإِلَهُ الأَزَلِي الذِّي وُجِدَ فِي الْبَدْءِ وَالذِّي رَفَعَ السَّمَاءَ وَسَوَّىٰ الأَرْضَ .. الإِلَهُ الذِّي لا يُنَازِع سُلْطَانَهُ مُنَازِعٌ " .

وَ" رَع " هُو الاِسْمُ الأَشْهَرُ الذِّي عُرِفَ بِهِ الإِلَهُ الْوَاحِدُ الأَحَدُ وَهُو مَا يُقَابِلُ عِنْدَنَا لَفْظَ الْجَلالَةِ "اللهُ ".

أَمَّا أَنَّ هَذِهِ الرُّؤيَةَ الإِسْلامِيَّةَ لِلْحَضَارَةِ الْمَصْرِيَّةِ تَنْفِي بِنَاءَ الْمصْرِيين حَضَارَتِهم بِأَنْفِسِهُم. فَالْحَقِيقَةُ أَنَّ أَنْبِياءَ اللهِ الذِّينَ عَلَّمُوا الْمَصْرِيين كَيفَ يَبْنُوا الْحَضَارَةَ كَانُوا مَصْرِيين ، وَأَنَّ الذِّين سَاعَدُوهُم فِي البِنَاءِ كَانُوا مَصْرِيين كَذَلِك .

رَفَعَ رَجُلٌ مُلْتَحٍ يَدَهُ وَسَمَحَ لَهُ الأُسْتَاذُ يُونِسُ بِالْكَلامِ فَقَالَ فِي لَهْجَةٍ لا تَخْلُو مِنْ حِدَةٍ : كَيفَ تَقُولُ إِنَّ الْفَرَاعِنَةَ كَانُوا مُؤمِنِين بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَالْقُرآنُ الْكَرِيمُ يَصِفَهُم بِالْكُفْرِ وَالطُّغِيَانِ .

اِبْتَسِمَ اَلأُسْتَاذُ يُونُسُ وَقَالَ : أَولاً لَيسَ هُنَاكَ فَرَاعِنَةٌ إِنَّمَا هُو فِرْعَونٌ وَاحِدٌ وَهُو كَمَا يَقُولُ مُعْجَمُ لِسَانِ الْعَرَبِ " فِرْعَوْن عَلَمٌ أعجمِيٌّ كَإِبْلِيسَ ، وَمَعَ اَلأَسَفِ أَنَّ كَلِمَةَ " فِرْعَوْن " قَدْ شَاعَتْ خَطَأً عَلَىٰ أَنَّهَا لَقَبٌ لِكُلِّ حُكَامِ مَصْرَ الْقُدَمَاءِ وَمِنْ كَثْرَةِ تِكْرَارِ هَذِهِ اَلْمَعْلُومَةِ - الْخَاطِئَةِ - تَقَرَّرَتْ وَأَصْبَحَتْ مِنْ الْمُسَلَّمَاتِ التَّي لا يُفَكِّرُ أَحَدٌ فِي مُنَاقَشَتِهَا أَو التَّعَرَّضِ لَهَا ، وَوُصِفَتْ اَلْحَضَارَةُ اَلْمَصْرِيَّةُ بِالْحَضَارَةِ الْفِرْعُونِيَّةِ ، وَوُصِفَ الْمَصْرِيُون بِالْفَرَاعِنَةِ !

إِنَّ كَلِمَةَ " فِرْعَون " قَدْ ذُكِرَتْ " ٧٤ مَرَّةً " فِي الْقَرَآنِ الْكَرِيمِ وَجَمِيعُهَا تَتَكَلَّمُ عَنْ فِرْعَون مَلِكِ مصْرَ زَمَن مُوسَىٰ عَلَيهِ السَّلامُ فَقَطْ ، كَمَا أَنَّ كَلِمَةَ " فِرْعَون " لَمْ تَأَتِ إِلا مُفْرَدَةٌ " فِرْعَون" وَلَمْ تُجْمَعْ قَطْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَاَلْحَدِيثِ الشَّرِيفِ "فَرَاعِنَةُ" ، كَمَا أَنَّهَا لَمْ تُعَرَّفْ أَبَداً بِـ " أَلْ ، أَو اَلإِضَافَة " كَأَيِّ لَقَبٍ فَلَمْ يُذْكَرْ وَلَو مَرَّةً وَاحِدَةً " اَلْفُرْعَون " ، أو " فِرْعَون مصْرَ " أو " فِرْعَون مُوسَىٰ " .

يَقُولُ تَعَالَىٰ :

{وَقَالَ فِرْعَـــوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَـــا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}

[القَصَـــصُ : ٣٨] .

فَهُنَا اللـــهُ تَعَـــالَىٰ يَتَكَلَّمُ عَنْ شَـــخْصٍ مُعَيَّنٍ اِدَّعَـــىٰ اَلإِلُوهِيَّةَ وَلا يَتَكَلَّمُ عَنْ شَـــخْصٍ مَا أَو مَلـــكٍ مَـــا ، وَمَعْلُوم أَنَّـــهُ لَيـــسَ كُلُّ النَّاسِ اِدَّعُـــوا اَلإِلُوهِيَّـــةَ ، وَلا كُلُّ ملَكٍ قَـــالَ :" مَا عَلِمْتُ لَكُـــمْ مِنْ إِلَـــهٍ غَيْرِي " وَأَشْـــهَرُ مَنْ اِدَّعَـــىٰ اَلإِلُوهِيَّةَ عَـــلَىٰ اَلإِطْـــلاقِ " فِرْعَوَن " مَلِكُ مصْرَ أَيَام سَيدنَا مُوسَىٰ .

لَقَـــدْ ذَكَـــرَ اللهُ تَعَـــالَىٰ كَلِمَـــةَ " مَلِك " خَمْسَ مَـــرَّاتٍ عِنْدَ حَدِيثِـــهِ تَعَالَىٰ عَنْ مَلِك مـــصْرَ إِبَان زَمَن يُوســـفَ عَلَيْه السَّـــلامُ ، وَلَو كَانَتْ كَلِمَـــةُ " فِرْعَون " لَقَبـــاً لَذَكَرَهَا اللهُ تَعَـــالَىٰ وَلَو مَرَّةً وَاحَـــدَةً عَلَىٰ هَذَا اَلْمَلِـــكِ أَو غَيرِهِ مِـــنْ اَلْمُلُـــوكِ الذِّيـــن ذَكَرَهُم اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ اَلْعَزِيزِ .

وَلْنَسأَل د. حَسَن عَنْ كَلِمَةِ فِرْعَون .

قَالَ د. حَسَـــنُ : الْحَقِيقَـــةُ أَنَّهُ مِنْ اَلْمُتَّفـــقِ عَلَيَهِ بَـــيِنَ عُلَـــمَاءِ اَلْمَصرِيَـــاتِ أَنَّ كَلِمَةَ فِرْعَـــون " لَمْ تَظْهَـــرْ إِلا فِي الدَّولَـــةِ الْحَدِيثَـــةِ ، وَاخْتَلَفُوا فِي زَمَنِ ظُهُورِهَا مَا بَيَنَ ١٥٥٠ ق.م ، و١٠٠٠ ق.م ".

أَكْمَـــلَ اَلأُسْـــتَاذُ يُونـــسُ : وَالرَّاجِـــحُ عِنْـــدَ عُلَمَاءِ الْمصْرِيَـــاتِ الْغَرْبِيـــين وَالْمَصْرِيـــين أَنَّ مَلِكَ مَصرَ ـ زَمَـــنُ سَـــيدنا مُـــوسَىٰ ـ كَانَ " رَعْمَسِـــيس اَلثَّانِي " الذِّي اِدَّعَىٰ اَلإِلُوهِيَّةَ وَأَهْلَكَهُ اللهُ غَرَقاً.

ثُـــمَّ قَالَ وَهُو يَبْتَسِـــمُ : أَمَّا عَنْ نِظَـــامِ الْحُكْمِ عِنْدَ الْمصْرِيين اَلْقُدَمَاءِ فَهَذَا أَمْرُ شَرَحَهُ يَطُولُ ...

ضَحَــكَ الْجَمِيعُ وَقَالَ د. سَــيدُ : إِلَىٰ الأُسْــبُوعِ الْقَادِمِ إِنْ شَاءَ اللهُ .

قَــالَ د. وَسِــيمُ السِّــيسِي : أَنَــا أَدْعُو السَّــادَةَ الْحُضُــورَ جَمِيعــاً إِلَىٰ صَالُونِي الثَّقَافِي الشَّــهْرِي فِي السَّــابِعَةِ مِنْ مَسَاءِ الْجُمّعَةِ ٢٨ يُولِيُو وَمَقَرُّ الصَّالُون بِمَنْزِلِي ٢ شَــارِع عَمْرُو الْمُتَفَرِعِ مِنْ شَــارِعِ النَّصْرِ، خَلْفَ مَكْتَبَةِ الْمَعَادِي.

❖❖❖